سنن النسائي

...سنن النسائي إحدى الكتب الستة التي أشتهرت عند القاصي والداني .

أسمه ومولده :

...مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخرساني النسائي القاضي .

...ولد – رحمه الله – في مدينة نسا في عام خمسة عشر ومائتين ، وقيل في عام أربعة عشر ومائتين للهجرة .

...والاختلاف جاء بسبب وراية رويت عنه ، وبسبب كلام لتلميذه أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر ؛ فأبو سعيد ذكر أن مولده في عام خمسة عشر أو أربعة عشر ، والنسائي نفسه لما سئل عن مولده متى ، قال : يشبه أن يكون في عام خمسة عشر ومائتين ، فهو إذن لم يقطعه ولم يجزم بهذا ؛ لأنه لم يضبط تاريخ مولده ، لكنه استدل على ذلك بأنه رحل إلى قتيبة بن سعيد في عام ثلاثين ومائتين ، وكأنه يستشف أن عمره إذ ذاك كان خمسة عشر عاماً ، فيكون مولده تقريباً في حدود عام خمسة عشر ومائتين .

طلبه للعلم :

...طلب – رحمه الله – العلم منذ الصغر ، وهذا أفاده كثير جداً ، كما سنشير إليه. فنجده رحل إلى قتيبة بن سعيد في سنة ثلاثين ومائتين ، وأقام عنده ولازمه أكثر من سنة ؛ ولذلك يعتبر إسناد النسائي عالياً في بعض الشيوخ ، ومن جملتهم قتيبة بن سعيد الذي كان مولده في عصر مبكر ، فقتيبة بن سعيد كان مولده في سنة تسع وأربعين ومائة ، فهو عاش تقريباً حوالي مائة عام، فظفر النسائي بأسانيد عالية من هذا الباب ، ومن جملتها أحاديث ابن ليعهة التي يرويها عنه بقية بن سعيد كما سنشير إلى ذلك أيضاً .

...ثم إنه لم يقتصر في السماع على قتيبة بن سعيد ، بل سمع من أئمة آخرين ، مثل إسحاق بن راهويه ، وأحمد بن منيع ، وعلي بن حجر السعدي ، ومن أبي داود ، والترمذي ، ومن أبي حاتم ، وأبي زرعة الرازيين ، ومن محمد بن يحيى بشار ، ومحمد بن المثنى ، وهناد بن السرى ، وأمثال هؤلاء الشيوخ الذين أدركم وروى عنهم ، ومعظمهم من شيوخ أصحاب الكتب الستة ، وبخاصة البخاري ومسلم . فإذن هو شارك البخاري ومسلم في كثير من شيوخهم ؛ ولذلك ظفر بالأسانيد العالية .

روايته عن البخاري :

...اختلف هل سمع النسائي من البخاري وروى عنه أم لا ؟ فنجد المزي في تهذيب الكمال قطع بأنه لم يرو عن البخاري ، وأن الذي وقع في السنن حينما قال : حدثنا محمد بن إسماعيل، وقيل عنه البخاري ، أن هذا من تصرف بعض الرواة ، والحقيقة أنه لم يسمع من البخاري ، وهذه وجهة نظر المزي .

...لكن بعد التتبع وجد أن فعلاً روى عن البخاري ، ومن أراد الإفاضة في هذه المسألة فليرجع كتاب " بغية الراغب المتمني في ختم النسائي برواية ابن السني " للسخاوي ، فإنه بين هذه المسألة ، وأظن كذلك أن " بشار معروف" في تعليقه على "تهذيب الكمال" وضح هذا أيضاً.

...وكان من أدب الطلب عندهم في ذلك العصر الرحلة في طلب الحديث ، وهذا الذي حرص عليه وصنعه النسائي ، وهو الذي أفاده في الحصول على الأسانيد العالية ، فإنه –رحمه الله– رحل إلى عدة بلدان منها خراسان والحجاز ومصر والعراق والجزيرة والشام ، وسمع من كثير من الشيوخ ، وكان حريصاً على التلقي ، حتى وإن كان يصاحب ذلك شيء من العناء بل ربما المذلة .

روايته عن الحارث بن مسكين من وراء الستار : ...قدم – رحمه الله – على الحارث بن مسكين ، وسمع منه ، ولكنه لم يستطع السماع منه مباشرة – أي بحضور الحلقة كما يحضرها بقية التلاميذ – ، وإنما كان يستمع من وراء ستار؛ ولذلك نجد النسائي في سننه إذا روى عن الحارث بن مسكين يقول : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع ، أو يأتي بصيغة مثلاً : أخبرنا الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع.

...فهو يشير بهذا الصنيع إلى أنه لم يأخذ عن الحارث بن مسكين ، كما أخذ عن بقية الشيوخ الذين لا يقيد ذلك بالقراءة عليهم حال سماعهم .

...وقيل في السبب الذي دعي النسائي إلى عدم السماع من الحارث بن مسكين مباشرة، أنهما كان فان ، وحصل بينهما شيء من الخلاف الذي يحصل فيه الغالب بين الأقران ؛ ولذلك لم يستطيع النسائي الحضور إلى حلقة الحارث بن مسكين لما بينهما من الشحناء .

...وقيل سبب غير ذلك ، وهو أن الحارث بن مسكين – رحمه الله – كان مؤاخذاً من قبل السلطان في عصره ، ويبدو أنه كان متخوفاً من السلطان ، فدخل عليه النسائي بزي أنكره، ولم يكن يعرفه ، فقد كان النسائي لابساً لقلنسوة وثياب تشبه ثياب أعوان السلطان ، فخشي الحارث بن مسكين أن يكون النسائي من أعوان السلطان ، فخشي أن يكون قد دُس عليه لينقل كلامه إلى السلطان ، فمنعه من الحضور إلى الحلقة ؛ فأصبح يحضر من رواء الستار ويسمع ويقيد.

ذكر الوقيعة التي بينه وبين أحمد بن صالح المصري :

...سمع – رحمه الله – في رحلته إلى مصر من أحمد بن صالح المصري الذي هو أحد الأئمة الذين في طبقة الإمام أحمد ، وهو إمام مشهور كثرت عبارات العلماء في الثناء عليه ، إلا أن النسائي بدلاً من الرواية عن ذلك الإمام والثناء عليه ، انقلب على الضد ، فأصبح ينال من أحمد بن صالح المصري ، ويتكلم فيه ، ويتهمه بالكذب ، إلى غير ذلك من العبارات التي وردت عن النسائي في حق هذا الإمام . ...وقبل أن أذكر السبب في ذلك أذكر بقصة أبي داود عندما كان حريصاً على السماع ، بل حتى على إسماع أبنائه من الشيوخ الذين يستطيع أن يسمعهم منهم ، ومن ذلك أنه رحل بابنه عبد الله إلى أحمد بن صالح المصري

وأحضره معه في الحلقة ، وقد وضع أبو داود لابنه عبد الله لحية مستعارة ؛ لأن أحمد بن صالح لم يكن يسمح للمردان بالحضور إلى حلقته .

...وقد وردت القصة بلفظ آخر ، ولعله من هو الأصوب ، وهو أنه قيل : إن أبا داود أحضر ابنه وهو أمرد ، ولم يكن وضع له هذه اللحية التي قيل إنه وضعها له ، وحينما أحضره رفض أحمد بن صالح أن يحدث حتى يخرج أبو داود ابنه ، فقال له أبو داود : إنه أحفظ وأذكى من الملتحين فامتحنه ، فامتحنه أحمد بن صالح فوجده أهلاً للتحمل ، فسمح له باستثناء .

...وقد قيل إن أحمد بن صالح كان عسراً وشديداً في الإسماع ، لا يسمع أحداً حتى يأتيه برجلين يزكيانه ، فيحتاج أن يأتي قبل ذلك فيستأذن ويأتي بمن يزكيه ، وكان لا يسمح للمردان أيضاً ؛ ومع ذلك قالوا فيه عسر وشدة في خلقه ، بل وصف – رحمه الله – بشيء من العجب والتيه ؛ كل هذا يبدو أنه كان عاملاً في الوقيعة التي وقعت بينه وبين النسائي .

...فيقال : إن النسائي جاء وحضر على اعتبار أنها كبقية حلقات الشيوخ ، فلما جاء رفض أحمد بن صالح المصري إسماعه ، لأنه يعتبر دخل البيوت من غير أبوابها في نظر أحمد بن صالح المصري ، فطرده من حلقته ، فوقع هذا في نفس النسائي ، فأصبح يتكلم في أحمد بن صالح المصري ؛ ولذلك قال العلماء : إنه لا يسمع كلام النسائي في أحمد بن صالح المصري لهذا السبب.

...ثم إنه – رحمه الله – في حال الرحلة يبدو أنه راق له المقام في مصر ؛ فأقام فيها واستوطنها حتى توفاه الله .

...ولقد عمر النسائي – رحمه الله – حيث عاش قريباً من تسعين عاماً ، وقد توفاه الله في سنة ثلاثمائة وثلاثة للهجرة .

...وكان النسائي قد ظفر بأسانيد عالية مما جعل التلاميذ يحرصون على السماع من النسائي وعلى لقيه .

...أي أن هناك عاملين أساسيين :

...العامل الأول : أن النسائي عمر فعاش مدة تقرب من تسعين عاماً .

...العامل الثاني : أنه طلب العلم في الصغر ، أي ليس كالترمذي الذي أشرنا إلى أنه تأخر طلبه للعلم ؛ فالنسائي طلب العلم في الصغر ، ولم طلب العلم ظفر بأسانيد عالية مثل قتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن راهويه ، وأمثالهم ؛ فهذه الأسانيد العالية التي حصلت للنسائي جعلت طلبة العلم يحرصون على السماع منه ؛ لأنهم سيظفرون أيضاً بعلو الإسناد .

تلاميذه :

...نجد كبار الأئمة تتلمذوا على النسائي ، ومن هؤلاء : ابن حبان صاحب "الصحيح" ، والعقيلي صاحب "الضعفاء" ، وابن عدي صاحب "الكامل" ، والدولابي – ومع العلم بأنه يعتبر من أقران النسائي ولكنه سمع منه – وهو صاحب كتاب الأسماء والكنى " ، والطحاوي صاحب "شرح معاني الآثار" و "مشاكل الآثار"

وصاحب "الطحاوية" ، وأبو عوانة صاحب "المستخرج على صحيح مسلم" ، وأبو سعيد بن يونس صاحب " تاريخ مصر " ، والطبراني ، الإمام المشهور – صاحب "المعاجم الثلاثة" ، وابن السني صاحب "عمل اليوم والليلة" وكتاب القناعة ، والذي هو أحد رواة السنن ، كما سيأتي إن شاء الله ، وغير هؤلاء كثير .

كتابه " خصائص علي " :

...وذات مرة دخل النسائي – رحمه الله – دمشق ، فرأى كثيراً من أهلها منحرفاً – كما يقال – عن علي ، أي ليس لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مكانه عندهم ، بل ربما تناوله بعضهم بالوقيعة ؛ فألف كتاب " خصائص علي " فذكر فيه فضائل علي – رضي الله عنه – رجاء أن يهديهم الله .

...وقد أنكر عليه بعض الناس ؛ لأنه ترك الشيخين – أبا بكر وعمر – وصنف في علي ؛ فألف بعد ذلك كتاب " فضائل الصحابة " ، ولكنه لم يخرج في فضل معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – شيئاً ، والسبب أنه لم يجد في فضله شيئاً على شرطه ، بل الأحاديث التي وردت في فضل معاوية – رضي الله عنه – لا تصح .

...فقيل : إنه تكلم بكلام عن معاوية أخذ عليه هذا الكلام ؛ فتناوله أهل دمشق بالضرب ، فأخذوا يدفعون في جنبيه ، ويبدو أنهم أيضاً ضربوه في خصيتيه حتى أخرجوه من المسجد الذي كان فيه ، فأثر فيه هذا الصنيع ؛ فقال : احملوني إلى مكة ، فحمل وتوفي رحمه الله .

وفاته :

...قيل : إنه توفي بالرملة في فلسطين ، وقيل : إنه توفي بمكة ، والخلاف جاء بين أبي سعيد بن يونس الذي هو أحد تلاميذ النسائي ، وبين الدار قطني ، فالدار قطني يرى أنه توفي بمكة ، وأبو سعيد يرى أنه توفي بالرملة . وبعض العلماء – مثل الذهبي – رجح قول ابن يونس ؛ لأنه تلميذ للنسائي ، أما الدار قطني فلم يدرك النسائي .

...كان وفاته – رحمه الله – في سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة ، وذلك في يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر صفر .

تقديمه على مسلم صاحب الصحيح :

...عرف النسائي بالحفظ والإتقان حتى إن الذهبي قدمه على مسلم ، ويرى الذهبي أن النسائي أحفظ من مسلم صاحب الصحيح .

...وكما قلت : إنه ظفر بأسانيد عالية ؛ فحرص طلبة العلم على التلقي عنه .

...ويظهر أنه – رحمه الله – كان موسر الحال ، ونقل عنه أ،ه كان متزوجاً بأربع نسوة، ويضيف إليهن في الغالب سرية من السرايا ، فكان يقسم لخمس ، وذكروا كلاماً في هذا لا داعي لذكره في هذا الموضع .

وأشهر هذه الكتب التي وصلت إلينا كتاب " السنن " ، وهذا الكتاب كتاب كبير جداً، له عدة روايات ، نجد في كل رواية ما ليس في الأخرى من الكتب ويظهر أن السبب هو أن كبر حجم الكتاب جعل بعض هذه

الكتب يفوت سماعها بعض أولئك الرواة الذين رووا السنن عن النسائي ، لكن بمجموع هذه الروايات يمكن أن يضم بعضها إلى بعض لتشكل كتاباً كبيراً هو كتاب السنن الكبرى للنسائي .

رواية كتاب السنن عنه :

...هذا الكتاب نجد الذين رووه عن النسائي كثرة ، من جملتهم – كما ذكر الحافظ ابن حجر – عبد الكريم الذي هو ابن النسائي .

– ومنهم ابن السني أبو بكر أحمد بن محمد الذي اشتهرت روايته ، وسيأتي الحديث عنها إلى شاء الله .

– ومن هؤلاء أبو علي الحسن بن الأخضر الأسيوطي ، أو ابن الخضر الأسيوطي .

– وكذلك الحسن بن رشيق العسكري .

– وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن حيويه .

– ومحمد بن معاوية المشهور بابن الأحمر الأندلسي ، وروايته مشهورة .

– ومحمد بن قاسم بن سيار القرطبي ، ورواية ابن سيار القرطبي أيضاً مشهورة .

– وعلي بن أبي جعفر الطحاوي ، وليس هو الطحاوي صاحب "شرح معاني الآثار" .

– وأبو بكر أحمد بن محمد بن المهندس .

وغير هؤلاء أيضاً قد رووا السنن عن النسائي .

إطلاق لفظ الصحة على سنن النسائي :

...ولأهمية سنن النسائي وإعجاب العلماء بها نجد أن هناك من أطلق عليها الصحة ، فسماها باسم " الصحيح " ، من هؤلاء – كما قيل – أبو عبد الله بن منده ، وابن السكن ، وأبو علي النيسابوري ، والدار قطني ، وابن عدي ، والخطب البغدادي .

...ولكن هذا يحتاج أولاً التثبيت من إطلاق العلماء لفظ الصحة على سنن النسائي ، فإن صح عنهم أو عن بعضهم أنه أطلق الصحة عليه ، فلعله يعني ما أخرجه من المقدار الكبير من الحديث الصحيح ، مع تنبيه على الحديث الضعيف .

...وأما أن يكون جميع ما في سنن النسائي كله صحيح ، فهذا ليس بصحيح كما سوف أبين إن شاء الله .